يزيد بن معاوية

أعلام الخلفاء
الأمويين

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، يكنى أبو خالد، وجدته من جهة أبيه: هند بنت عتبة بن ربيعة، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية شاعرة من شاعرات العرب، وكانت امرأة لبيبة وأبوها من أشراف قبيلة كلب[1].

ولد يزيد بن معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين، وقيل أن ولادته وولادة عبد الملك بن مروان في سنة واحدة سنة ست وعشرين من الهجرة، نشأت والدته في البادية حيث أن والدته طلقها أبوه فعاش مع أمه وأخواله وهم زعماء قبيلة كلب، فأثرت في طباعه تلك النشأة فتراه يتميز بالفصاحة والخطابة والكرم، والشجاعة، واستمر متعلقا- بالبادية، حتى أنها أثرت في لباسه وعدم التكلف في حياته، فقد تلقوه أهل الشام بعد موت أبيه عائدا- من أخواله ليس له عمامة ولا سيف فقال الناس: هذا الأعرابي الذي ولي أمر هذه الأمة، واهتم به والده وعين له مؤدبا- ليعلمه وجعله يحضر في مجالسه ويستفيد من سياسته وتدبيره للملك، واستفاد يزيد من عبيد بن شرية الجهرمي الذي استقدمه معاوية من صنعاء اليمن، وكان عالما- بأيام العرب، وأحاديثها وله كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين، وقد تأثر يزيد من هذا الشيخ الحكيم الذي حنكته التجارب والسنون، وأصبح يزيد يتحدث عن الأنساب تحدث الخبير، وقد توفر ليزيد ما لم يتوفر لغيره [2].

(1) الاستيعاب، 1416/3، تاريخ خليفة، ص10.
(2) تهذيب التهذيب، 316/11 - 317، فوات الوفيات، 328/4، أنساب الأشراف، 295/4 - 296، سير أعلام النبلاء، 130/9.

إضافة إلى أن أباه هو أحد الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم وكاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن أبيه أحاديث، وقد كان معاوية رضي الله عنه يحاول دوما- أن يوجه يزيد نحو الاستفادة من مجالس الوفود التي تفد عليه، فقد ذكر ابن المبارك أن معاوية قال لبعض رجالات الوفود ما تعدون المروءة فيكم قالوا: العفاف في الدين، والإصلاح في المعيشة، فقال معاوية: أسمع يا يزيد، فقد كان معاوية رضي الله عنه منذ أن استقر له الأمر في الشام شديد الاهتمام بتربية ولده، فأشركه منذ وقت مبكر في الصوائف وتحمل المسئوليات، وكان معاوية دائم الاتصال بمؤدبي ولده، كي يتعرف على ما أحرزه ابنه من تقدم، كما كان يسأل ابنه عن أحواله مع المؤدبين، فتشير إحدى الروايات إلى أن معاوية سأله في أحد الأيام قائلا-: أيضربك معلمك يا يزيد قال: لا يا أمير المؤمنين قال: ولم؟ قال: لأنه استن بسنة أمير المؤمنين بالعدل، وعلاوة على ذلك فإننا نجد روايات أخرى تشير إلى أن بعض المناظرات الثقافية كانت تقع بين معاوية وولده، على الرغم من صغر سنه مما يدل على مدى إهتمام أبيه به، فيروي ابن ظفر الصِّقلّي: أن معاوية بن أبي سفيان قال لابنه يزيد، وقد أتت عليه سبع سنين: يا بني في أي سورة أنت؟ فقال: في السورة التي تلي يا أمير المؤمنين. فقال: يا بني إن هذه السورة تليها سورتان وهي بينهما، ففي أيهما أنت؟ قال: في السورة التي في أولها {ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ} [محمد: ٢]. فتمثل معاوية بقول حذافة بن غانم العدوي حيث يقول:

ملوك وأبناء الملوك وسادة :: تفلق عنهم بيضة الطائر
متى تلقَ منهم ناشئا- في : الصّقر
شبابه :: تجده على أعراق والده يجري
فهم يغفرون الذّنب ينقم مثله : وهم تركوا رأي السَّفاهة

:: والهجـــــــــــــــــــر[1]
:

وكان معاوية يوجه أبنه ويرشده وينصحه ويدله على الصواب فقد رأى ابنه يضرب غلاما- له، فقال له: سوأة لك، أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك؟ والله لقد منعتني القدرة من ذوى الإحن، وإنَّ أحقَّ من عفا لمن قدر، وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبا مسعود يضرب غلاما- له، فقال له:"**اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه**-[2]، وذات يوم غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره، فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة إن غضبوا فأرضهم، وإن طلبوا فأعطهم ولا تكن عليهم ثقلا- فيملّوا حياتك ويتمنَّوا موتك، فقال معاوية: لله درُّك يا أبا بحر، يا غلام ائت يزيد فأَقْرِئه مني السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائه ألف. فقال يزيد: من عند أمير المؤمنين؟ فقال: الأحنف. فقال: لا جرم لأُقاسمنه فبعث إلى الأحنف بخمسين ألف وخمسين ثوبا-.

وكان يزيد حاضر البديهة، قال العتبي: وقدم زياد بأموال عظيمة، وبسفط مملوءة جواهر على معاوية، فسرُّ بذلك معاوية، فقام زياد فصعد المنبر، ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية، فقام يزيد فقال: إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عُبيد إلى حرب بن أميه. فقال له معاوية اجلس فداك أبي وأمي وكان معاوية يربي يزيد على القيام بالواجبات الاجتماعية مع أعيان المجتمع، فعندما وفد عبد الله بن عباس إلى معاوية، أمر ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في

(1) سهيل زكار، تاريخ الدولة العربية، ص45، الصلابي، الدولة الأموية، 1، 295.
(2) مسلم رقم 1659.

الحسن بن علي، فلمّا دخل على ابن عباس رحّب به وأكرمه وجلس بين يديه، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه، فأبى وقال: إنما أجلس مجلس المُعزّي لا المُهَنِّي، ثم ذكر الحسن فقال: رحم الله ابا محمد أوسع الرحمة وأفسحها، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاءك، وعوّضك من مُصابك ما خير لك ثوابا- وخيرٌ عقبى. فلمّا نهض يزيد من عنده قال ابنُ عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب حلماء الناس. ثم أنشد متمثلا-

مَغاضٍ عن العوراءِ لا ينطقونها :: وأهلُ وِراثات الحلوم الأوائل

وكان معاوية رضي الله عنه يختبر ابنه بين الفينة والأخرى فذات يوم سأله: كيف تُراك فاعلا- إن وُلّيت؟ قال: يُمتعُ الله بك. قال: لتُخبرني قال: كنت والله يا أبة عاملا- فيهم عمل عمر بن الخطاب. فقال معاوية: سبحان الله، سبحان الله، والله يا بُنيَّ لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقتها.

تزوج يزيد أم هاشم بنت أبي سفيان بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأنجبت له معاوية بن يزيد: ويكنى أبا عبد الرحمن كما يعرف باسم أبي ليلى و خالد بن يزيد: ويكنى أبا هاشم وقد انصرف إلى عمل الكيمياء

و أبو سفيان بن يزيد وتزوج أيضا- يزيد أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، فأنجبت له عبد الله بن يزيد وكان من أرمى العرب وهو الذي يقول فيه الشاعر:

زعم الناسُ أن خيرَ قريش :: كلِّهم حين يُذكرُ الأُسوار

وكان له عدد من الأولاد من أمهات أولاد كثيرة ومن أبنائه

هؤلاء: عبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعمر، وعتبة، وعبد الرحمن، وحرب، والربيع، ومحمد[1].

من أهم أعمال يزيد في عهد والده غزو القسطنطينية، وفضيلة غزو القسطنطينية ليزيد، جعلت الذهبي مع شدة حمله على يزيد يقول: يزيد بن معاوية أبو خالد الأموي له هنات حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري، وما أجمل قول ابن تيمية: ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا- للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم[2]

ويبدو أن يزيد قد قام ببعض الحملات حتى وصل إلى خليج القسطنطينية ومعه زوجته أم كلثوم، ويبدو أن معرفة يزيد بحرب الروم، وإدراكه بخطرهم الداهم، وأخذه بنصيحة والده رضي الله عنه، فكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال: شد خناق الروم، كل هذه الأمور جعلته بعد أن تولى الخلافة يسير على خطته في جهاد الروم، ولم تمنعه أحداث ابن الزبير وشيعة العراق من قتالهم، وقد كانت وفاة يزيد فيما بعد متنفسا- للروم، ليس فقط في وقف الهجمات الحربية عليهم من قبل المسلمين، بل بلغت بهم الجرأة إلى الإكثار من الغارات على بلاد الشام ومنطقة الثغور، ولما عاد يزيد من غزوة القسطنطينية في نفس السنة حج بالناس، وهذه الأعمال التي قام بها يزيد في غاية الأهمية في ذلك العصر، فكان يزيد يقود جيشا- من أعظم الجيوش في

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 298.
(2) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، مصر - الإسماعيلية، الطبعة الثالثة 1427 هـ، ص 262.

عصره، ويضم نخبة من الصحابة وأكابرهم وساداتهم وأبناءهم ويتجه هذا الجيش بقيادة يزيد إلى أهم جبهة في الدولة الإسلامية، وغير هذه الاعتبارات تدل على أن يزيد الذي يبلغ من العمر حين قيادة هذا الجيش ما بين (21 - 23) يملك روحا- قيادية وكفاءة حربية، ولم يعترض أحد من الصحابة أو غيرهم على قيادة يزيد في تلك المرحلة، كما أن هذا التصرف من معاوية رضي الله عنه في توليه يزيد هذا الجيش - والذي يضم أكابر الصحابة وأبنائهم وفقهائهم وسادات المسلمين فيه دلالة على أن معاوية رضي الله عنه، يرى في ولده يزيد ملامح النجابة والكفاءة التي تؤهله لقيادة هذا الجيش[1].

اتسم يزيد بالقوة والشجاعة: وقال عنه الذهبي: كان قويا- شجاعا- ، ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة، وكان يتمنى أن يوليه أبوه في الغزو على الصائفة بالمسلمين. وكان يحرص على إقامة السباقات بين الخيل، ويجعل الجوائز، لرفع مستوى الفروسية عند المسلمين، علاوة على تمكنه من قيادة الجيش الإسلامي الذي حاصر القسطنطينية وسيطرته على مجريات القتال[2].

وكان يقرض الشعر: فقد ذكر الذهبي بأنه صاحب فصاحة. ولما تكلم الخطباء عند معاوية قال والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق، قم يا يزيد تكلم[3]، وكان كان شاعرا- مجيدا-، ومن شعره ما كان ينشده هارون الرشيد ليزيد بن معاوية:

(1) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، مصر - الإسماعيلية، الطبعة الثالثة 1427 هـ، ص 262، الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 301.
(2) سير أعلام النبلاء، 7/4.
(3) سير أعلام النبلاء، 37/4.

إنها بين عامر بن لؤيّ ... حين تَنْمِي وبين عبد مناف
ولها في المُطَيَّبِين جدودٌ ... ثم نالت مكارم الأخْلافِ
بنتُ عمِّ النبيِ أكرمُ من ... يمشي بنعل على التُّراب وحافي
لن تراها على التَّبَذُّل والغلظة ... إلا كدرة الأصداف[1]

واشتهر عن يزيد الكرم فكان يجزل العطاء لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وليس غريبا- عنه وهو الذي يقول: حفظ النديم والجليس وإكرامهما من كرم الخليفة وقضاء حق النعمة، ولقد حازت هذه الأعطيات على إعجاب عبد الله بن جعفر وقال له: فداك أبي وأمي فوالله ما قلتها لأحد قبلك، وكان يقول: أتلوموني على حسن الرأي في يزيد. ومن كرمه أيضا-: أن عبد الله بن حنظلة عندما قدم عليه من المدينة وبنيه أعطاه مائة ألف وأعطى كل واحد منهم شعرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم وقصته مع الأحنف في مقاسمته الجائزة التي أمر بها معاوية قد مرت معنا.

وأما صفاته الخَلْقية: فقد كان ضخم الجسم سمينا طويلا- غليظ الأصابع كثيف الشعر جعده أسمر البشرة في وجهه أثر الجدري أحور العينيين حسن اللحية خفيفها، وبالجملة كان جميلا- [2].

بويع يزيد بالخلافة بعد وفاة أبيه معاوية بن أبي سفيان وكان يزيد غائبا- حين حضر معاوية الموت، فلما حضر يزيد كان قد دفن، فقصد يزيد باب الصغير حيث دفن أبوه، وهناك صلى على أبيه ومن خلفه المسلمون، وقد أجمعت - غالبية - الأمة على بيعة يزيد أو بمعنى آخر

(1) البداية والنهاية، 655/11.
(2) سير أعلام النبلاء، 37/4، البداية والنهاية، 638/11.

جددت له البيعة بعد وفاة أبيه ولم يبايع إلا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. وسيكون لكل منهما مع يزيد شأن - كما سنرى بإذن الله تعالى - أما بقية الصحابة فقد بايعوا يزيد جمعا- للكلمة وحفظا- لوحدة الأمة وخوف الفتنة، مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر، ومحمد بن الحنفية، أما أهل الشام والعراق وغيرها من الأقاليم فقد بايعوا وكانت المعارضة ليزيد في أهل الحجاز يتزعمها الحسين بن علي وابن الزبير[1].

إن أهل السنة والجماعة يعتبرون بيعة يزيد صحيحة ولكنهم عابوا عليها أمرين:

1 - قالوا إن هذه بدعة جديدة وهي أنه جعل الخلافة في ولده فكأنها صارت وراثة بعد أن كانت شورى وتنصيص على غير القريب، فكيف قريب وابن مباشر، فمن هذا المنطق رُفض المبدأ بغض النظر عن الشخص فهم رفضوا مبدأ أن يكون الأمر وراثة.

2 - أنه كان هناك من هم أولى من يزيد بالخلافة كإبن عمر وابن الزبير والحسين وغيرهم هذا من وجهة نظر أهل السنة[2].

أما من وجهة نظر الشيعة فإنهم يرون الإمامة والخلافة في علي وأبنائه فقط، فهم لا يعيبون بيعة يزيد بذاتها وإنما يعيبون كل بيعة لا تكون لعليّ وأولاده، فهم يعيبون بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية كلها بغض النظر عن المبايع له، لأنهم يرون أنها نص لعليّ وأبنائه إلى أن تقوم الساعة[3]

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 310.
(2) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص 224.
(3) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص 224.

هل كان يزيد أهلا للخلافة أو لا؟

ذكر ابن كثير[1] قصة عبد الله بن مطيع وأصحابه وأنهم مشوا إلى محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب، أخو الحسن والحسين من أبيهما فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، قال ابن مطيع: إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر، ويترك الصلاة.

فقال محمد: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة، متحريا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة.

قالوا: إن ذلك كان منه تصنعا لك.

قال محمد بن الحنفية: ما الذي خافه مني أو رجاه؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأيناه.

قال محمد بن الحنفية: أبى الله ذلك على أهل الشهادة ثم قرأ عليهم قول الحق تبارك وتعالى: {ﯦﯧﯨﯩﯪ} [الزخرف: ٨٦].

وكذا ما نقل عن يزيد أنه قال بعد مقتل الحسين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
ولعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[2]

فهذا أيضا لم يثبت عنه.

(1) البداية والنهاية، 236/8.
(2) نقله الطبري في تاريخه عن المعتضد الخليفة العباسي في أحداث سنة 284.

فالفسق الذي نسب إلى يزيد في شخصه كشرب خمر، أو ملاعبة قردة أو فحش أو ما شابه ذلك لم يثبت عنه بسند صحيح فهذا لا نصدقه، والأصل السلامة ونقول علمه عند ربي سبحانه وتعالى، ولكن ظاهر رواية محمد بن الحنفية أنه لم يكن فيه شيء من ذلك، فالعلم عند الله تبارك وتعالى في حال يزيد، وهذا لا يهمنا فهو بينه وبين ربه تبارك وتعالى.

ولو فرضنا أن الأمر كان كذلك فإن كون الإمام فاسقا لا يعني أنه يجب الخروج عليه بهذه الصورة التي حدثت [1].

ومن الأحداث المهمة في خلافة يزيد بن معاوية معركة كربلاء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ومعركة الحرة بالمدينة المنورة، وخروج ابن الزبير ومن معه بمكة.

في عام 64هـ هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوّارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة 64هـ وهو ابن 38سنة وهو ابن تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم، ويقال: ثمانية أشهر، وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد [2].

موقف أهل السنة والجماعة من يزيد بن معاوية في قتل الحسين:

لم يكن ليزيد يد في قتل الحسين، وليس هذا دفاعا عن يزيد ولكنه دفاع عن الحق.

أرسل يزيد عبيد الله بن زياد ليحول بين الحسين والوصول إلى الكوفة، ولم يأمره بقتله، بل الحسين نفسه كان حسن الظن بيزيد حين

(1) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص 224.
(2) تاريخ الطبري، 433/6.

قال: (دعوني أذهب إلى يزيد فأضع يدي في يده).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريما بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم.

أما الروايات التي فيها أنه أهين نساء آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأهن هناك هذا كله كلام باطل بل كان بنو أمية يعظمون بني هاشم، ولذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر، وأمر الحجاج أن يعتزلها ويطلقها، فهم كانوا يعظمون بني هاشم؛ بل لم تسب هاشمية قط) [1].

فالهاشميات كن عزيزات مكرمات في ذلك الزمن، فالكلام الذي يقال عن يزيد أنه سبى نساء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل مكذوب.

وما ذكر أن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا أيضا لم يثبت، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة، ودفن الحسين ولا يعلم قبره ولكن المشهور أنه دفن في كربلاء حيث قتل رضي الله تبارك وتعالى عنه.

(1) منهاج السنة، 557/4 - 559 بتصرف.

الموقف الوسط في يزيد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الناس في يزيد طرفان ووسط:

الطائفة الأولى: تتعصب له وتحبه بل تدعي فيه النبوة والعصمة.

الطائفة الثانية: تتعصب عليه، تبغضه بل تكفره وترى أنه كان منافقا يظهر الإسلام ويبطن النفاق ويكره الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتنسب إليه - لما قتل الحسين أو أوقع في أهل الحرة ما أوقع - من الشعر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وأنه قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرءوس على ربى
نعق الغراب فقلت نح أو لا ... جيرون
تنح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

ثم قال: (وكلا القولين باطل، فإن الرجل ملك من ملوك المسلمين وخليفة من الخلفاء الملوك لا هذا ولا هذا.

وأما مقتل الحسين رضي الله عنه فلاريب أنه قتل مظلوما شهيدا كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء، وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقه شهادة له، ورفع درجة وعلو منزلة) [1].

(1) مختصر منهاج السنة، 346/1.

النهي عن لعن يزيد:

ولعل من أهم الأمور التي وقعت في زمن يزيد (وقعة الحرة) [1]، وقتال عبد الله بن الزبير، وقتل الحسين بن علي.

وبسببها هناك من يجوز لعن يزيد بن معاوية، وهناك من يمنع، والذي يجوز لعن يزيد يحتاج أن يثبت ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يثبت أنه كان فاسقا.

الأمر الثاني: أن يثبت أنه لم يتب من ذلك الفسق، فإن الكافر إذا تاب تاب الله عليه فكيف الفاسق؟

الأمر الثالث: أن يثبت جواز لعن المعين.

ولا يجوز لعن الميت المعين الذي لم يلعنه الله ولا رسوله؛ لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**"[2].

ودين الله لم يقم على السب وإنما قام على مكارم الأخلاق، فالسب ليس من دين الله تبارك وتعالى في شيء، بل قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**"[3].

فسباب المسلم فسوق ولم يقل أحد أن يزيد خارج من ملة الإسلام، بل أكثر ما قيل فيه: إنه فاسق.

(1) وذلك لما خرج أهل المدينة على يزيد فاستباح المدينة ثلاثة أيام.
(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن سب الأموات، حديث (1393).
(3) متفق عليه: (صحيح البخاري): كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله، حديث (48)، (صحيح مسلم): كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم :♂**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**، حديث (64).

وهذا كما قلنا مبني على ثبوت ما ذكروه عنه من فسق، وعلمه عند الله تبارك وتعالى.

بل إنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"**أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**-[1].

وكان هذا الجيش بقيادة يزيد بن معاوية، ويذكر أنه كان معه من سادات الصحابة ابن عمر، وابن الزبير، وابن عباس، وأبو أيوب، وذلك سنة 49 هـ.

قال ابن كثير: (قد أخطأ يزيد خطأ فاحشا في أمره لأميره مسلم بن عقبة في وقعة الحرة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة و أبنائهم) [2].

فخلاصة القول: أن أمره إلى الله تبارك وتعالى، وهو كما قال الذهبي[3]: (لا نسبه ولا نحبه) [4].

مواقف من حياته:

إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها-:

وأطرى رجل من قريش يزيد بن معاوية عند معاوية، فلما خرج الناس أقبل على الأحنف فقال: إني والله وإن قلت الذي قلت رغبة- أو رهبة فإنه ما علمت للذي.. وإن ابنه ما علمت للذي..، قال الأحنف: إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها- [5].

(1) (صحيح البخاري): كتاب الجهاد، باب ما قيل في قتال الروم، حديث (2924).
(2) البداية والنهاية، 225/8.
(3) سير أعلام النبلاء، 36/4.
(4) حقبة من التاريخ، ص262 - 265.
(5) الجاحظ، البرصان والعرجان، ص39.

انظري هل تحرك أمير المؤمنين:

ويقال أن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية! انظري هل تحرك أمير المؤمنين.

فجاءت الجارية مرة حتى فتحت الباب، فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك.

فجاء يزيد، فدخل على معاوية. فقال له: أي بني! إني إنما جعلت بيني وبينك بابا-، كما بيني وبين العامة. فهل ترى أحدا- يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قرع عليك فهو إذنك[1].

قد رأيتها؟

جلست ميسون بنت بحدل الكلبية ترجل ابنها يزيد بن معاوية، وميسون يومئذ مطلقة، ومعاوية وفاختة بنت قرظة ينظران إليهما، ويزيد وأمه لا يعلمان، فلما فرغت من ترجيله نظرت إليه فأعجبها وقبلت بين عينيه، فقال معاوية بيتا- من شعر:

إذا مات لم تفلح مزينة بعده ⁝ فنوطي عليه يا مزين التمائما

قال: ومضى يزيد فأتبعته فاختة بصرها، وقالت: لعن الله سواد ساقي أمك، فقال معاوية: قد رأيتها؟ أما والله على ذاك لما فرجت عنه وركاها خيرٌ مما تفرجت عنه وركاك.

وكان لمعاوية من بنت قرظة عبد الله، وكان أحمق الناس، قالت فاختة: لا والله ولكنك تؤثر هذا عليه، فقال: سوف أبين لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك، يا غلام! ادع لي عبد الله، فدعاه فقال له معاوية: يا بني! إني قد أردت أن أسعفك وأن أصنع بك ما أنت أهله،

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص27.

فسل أمير المؤمنين فلست تسله شيئا- إلا أعطاكه. فقال: حاجتي أن تشتري لي كلبا- فارها- وحمارا-، فقال معاوية: يا بني! أنت حمار ونشتري لك حمارا-، قم فاخرج، قال: كيف رأيت؟ يا غلام! ادع لي يزيدا-، فدعاه.

فقال: يا بني! إن أمير المؤمنين قد أراد أن يسعفك ويوسع عليك ويصنع بك ما أنت أهله، فاسأله ما بدا لك، قال: فخر ساجدا- ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأراه في هذا الرأي، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك، وتوليني العام صائفة المسلمين، وتحسن جهازي وتقويني، فتكون الصائفة أول أسفاري، وتأذن لي في الحج إذا رجعت وتوليني الموسم، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل، وتجعل ذلك بشفاعتي، وتفرض لأيتام بني جمح وأيتام بني سهم وأيتام بني عدي، قال: مالك ولبني عدي؟ قال: لأنهم جالفوني وانتقلوا إلى داري، قال معاوية: قد فعلت - إذا رجعت - ذلك بك، وقبل وجهه وقال لابنة قرظة: كيف رايت؟ قالت: يا أمير المؤمنين! أوصه بي، فأنت أعلم به، ففعل [1].

وفي رواية: أن عبد الله سأل مالا- وأرضا-، وأن يزيد قال لمعاوية: اعتقني من النار أعتق الله رقبتك من النار، فقال له: وكيف؟ قال: لأني وجدت في الأثر أنه " من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار "، فاعهد إلي من بعدك.

يا أبه!:

قال يزيد بن معاوية لأبيه: يا أبه! هل ذممت عاقبة حلم قط أم حمدت عاقبة إقدام قط؟ قال: ما حلمت عن لئيم وإن كان وليا- إلا

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 131/1.

أعقبني ندما-، ولا أقدمت على كريم وإن كان عدوا- إلا أعقبني أسفا-.[1]

ما بكل هذا أمرتك!:

قيل: وشرب يزيد بن معاوية ذات يوم وعنده الأخطل فلما ثمل قال: يا أخطل اهجني ولا تفحش، فأنشأ يقول:

ألا اسلم سلمت أبا خالدٍ ... وحياك ربك بالعنقز
وروّى عظامك بالخندري ... س قبل الممات ولم تعجز
أكلت الدجاج فأفنيتها ... فهل في الحنانيص من مغمز
ودينك حقا- كدين الحما ... ر بل أنت أكفر من هرمز

فرفع يده ولطمه وقال: يا ابن اللخناء ما بكل هذا أمرتك![2]

ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمد رسول الله قال الحسين يا يزيد جد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول على بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا الفخار قضي لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله ايضا:

(1) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص22.
(2) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 121/1.

إني وقومي من أنساب قومهم :: كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة :: إلا وهمته أمضي من السيف (1)

أول من جمع بين التهنئة والتعزية:

ودخل عطاء بن أبي صيفي على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية (2).

أوسعت يا أبا أمية فاجلس:

وعن العتبى، قالَ: لمّا عقد معاوية البيعة ليزيد، قام الناس يخطبون، فقال معاوية لعمرو بن سعيد: قم يا أبا أمية. فقام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإن يزيد بن معاوية أنبل ما تأملونه، وأجل ما تأمنونه، إن استضفتم إلى حلمه وسعكم، وان احتجنم إلى رأيه ارشدكم، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم، جذع قارع، سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع ففاز سهمه، فهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف منه. فقال معاوية: أوسعت يا أبا أمية فاجلس (3).

إن هذا المنبر لم ينصب للشعر:

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية وكان واليا على قوم فقال لهم أيها الناس إنى إن لم أكن فارسا طبا بهذا القرآن فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه وما أساء القائل أخو

(1) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 289/1.
(2) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 166/2.
(3) ابن دريد، تعليق من أمالي ابن دريد، 21/1.

البراجم حيث قال:

وما عاجلات الطير يدنين للفتى ... رشادا ولا من ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ... ويخطى الفتى في حدسه ويصيب

فقال رجل من كلب إن هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى [1].

لم كرِهْت الإفراط في تقديمي؟

قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس، وكان أكرمه واجتباه: لم كرِهْت الإفراط في تقديمي، وتطامَنْتَ عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك مني؟ فقال: أيّدَ الله سلطانك، وأعلى مكانك، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب، والعقول والألباب، كانوا أطول أعمارا- منّا، وأكثر للزمان صُحْبة، وأكثر للأيام تجربة، وقد قال الحكيم: بقدر الثواب عند الرّضا يكون العقاب عند السخط، وبقَدْر السموّ في الرفعة تكون وَجْبة الرفعة، ولا خير فيمن لا يسمع الموعظة، ولا يقبل النصيحة، وأنا يا أمير المؤمنين، وإن كنت آمنا- من التعرض لسُخْطِك والدنوّ ممّا يقرب منه، فلستُ بآمِنٍ من طَعْنِ المُساوِي في الدرجة عندك، وحقر المشارك لي في المنزلة منك، وليس من تقديمك قليل، ولا من تَعْظِيمك يسير، فإن أقل ذلك فيه النباهة، والفخر، والثناء، والذكر، وحسبي مما بذلته من أموالك استحقاقي عندك

(1) جمهرة خطب العرب، 356/3.

لإكرامك، وحسبي من تقديمك خالص رضاك، وصفاء ضميرك [1].

فكيف تشاتم رجلا- قبل أن تعلم ما يقال لك وفيك؟ :

كان بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كلام بين يدي معاوية فقال يزيد: يا إسحاق إن خيرا- لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة! فقال إسحاق: وأنت والله لخير لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة! فأنكر يزيد ولم يدر ما عناه؛ فلما قام اسحاق قال معاوية: أتدري ما عناه إسحاق؟ قال يزيد: لا. قال: فكيف تشاتم رجلا- قبل أن تعلم ما يقال لك وفيك؟ إنه عنى ما زعم الناس أن أبا العباس أبي، وكانت هند اتهمت به وبغيره، ولذلك لما جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تبايعه فتلا عليها الآية، فلما بلغ قوله ولا يزنين قال: وهل تزني الحرة؟ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر وتبسم [2].

بئس الضيف أنت :

كانت عند عبد الله بن جعفر جارية مغنية يقال لها عمارة، وكان يجد بها وجدا- شديدا-، وكان لها ثمه مكان لم يكن لأحد من جواريه، فلما وفد عبد الله بن جعفر على معاوية خرج بها معه فزاره يزيد، ذات يوم، فأخرجها إليه، فلما نظر إليها، وسمع غناءها، وقعت في نفسه، فأخذه عليها ما لا يملكه، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجد بها إلا مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها، فلم يزل يكاتم الناس أمرها إلى أن مات معاوية، وأفضى الأمر إليه، فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة وعامة من يثق به في أمرها، وكيف الحيلة فيها، فقيل

(1) القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 80/2.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 161/1.

له: إن أمر عبد الله بن جعفر لا يرام، ومنزلته من الخاصة والعامة ومنك ما قد علمت؛ وأنت لا تستجيز إكراهه، وهو لا يبيعها بشيء أبدا-، وليس يغني في هذا إلا الحيلة، فقال: انظروا لي رجلا- عراقيا- له أدب وظرف ومعرفة، فطلبوه، فأتوه به، فلما دخل رأى بيانا- وحلاوة- وفهما-، فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظك آخر الدهر ويد أكافئك عليها إن شاء الله تعالى؛ ثم أخبره بأمره، فقال له: عبد الله بن جعفر ليس يرام ما في قلبه إلا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت، فأرجو أن أكونه، والقوة بالله، فأعني بالمال. قال: خذ ما أحببت.

فأخذ من طرف الشام وثياب مصر، واشترى متاعا- للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك، ثم شخص إلى المدينة، فأناخ بعرصة عبد الله بن جعفر، واكترى منزلا- إلى جانبه، ثم توسل إليه وقال: إني رجل من أهل العراق قدمت بتجارة وأحببت أن أكون في عز جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به، فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه أن أكرم الرجل، ووسع عليه في نزوله.

فلما اطمأن العراقي سلم عليه أياما- وعرفه نفسه، وهيأ له بغلة- فارهة-، وثيابا- من ثياب العراق وألطافا-، فبعث بها إليه، وكتب معها: يا سيدي! إني رجل تاجر، ونعم الله علي سابغة، وقد بعثت إليك بشيء من تحف وكذا من الثياب والعطر، وبعثت ببغلة خفيفة العنان، وطيئة الظهر، فاتخذها لرجلك، فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألا قبلت هديتي ولم توحشني بردها، إني أدين الله تعالى بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سفرتي هذه أن أستفيد الأنس بك والتحرم بمواصلتك.

فأمر عبد الله بقبض هديته، وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مر

بالعراقي في منزله، فقام إليه، وقبل يده، واستكثر منه، فرأى أدبا- وظرفا- وفصاحة-، فأعجب به وسر بنزوله عليه، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بلطف تطرفه، فقال عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيرا-، فقد ملأنا شكرا-، وما نقدر على مكافأته.

فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله، ودعا بعمارة في جواريه، فلما طاب لهما المجلس، وسمع غناء عمارة، تعجب، وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى ذلك عبد الله سر به إلى أن قال له: هل رأيت مثل عمارة! قال: لا والله يا سيدي ما رأيت مثلها، وما تصلح إلا لك، وما ظننت أن يكون في الدنيا مثل هذه الجارية، حسن وجه، وحسن عمل، قال: فكم تساوي عندك؟ قال: ما لها ثمن إلا الخلافة؟ قال: تقول هذا لتزين لي رأيا- فيها وتجتلب سروري؟ قال له: يا سيدي، والله، إني لأحب سرورك، وما قلت لك إلا الجد، وبعد فإني تاجر أجمع الدراهم إلى الدرهم، طلبا- للربح، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها. فقال له عبد الله: عشرة آلاف؟ قال: نعم! ولم يكن في لك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: أنا أبيعكها بعشرة آلاف. قال: قد أخذتها. قال: هي لك، قال: قد وجب البيع، وانصرف العراقي.

فلما أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد جيء به، فقيل لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار، وقال: هذا ثمن عمارة، فردها، وكتب إليه: إنما كنت أمزح معك، ومما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها. فقال له: جعلت فداءك! إن الجد والهزل في البيع سواء. فقال له عبد الله: ويحك! ما أعلم جارية- تساوي ما بذلت، ولو كنت بائعها من أحد لآثرتك، ولكني كنت مازحا-، وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي وموضعها من قلبي. فقال العراقي: إن كنت مازحا-، فإني كنت جادا-، وما اطلعت على ما في نفسك وقد ملكت الجارية، وبعثت إليك بثمنها،

وليس تحل لك، وما لي من أخذها من بد. فمانعه إياها، فقال له: ليست لي بينة، ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنبره.

فلما رأى عبد الله الجد قال: بئس الضيف أنت، ما طرقنا طارق، ولا نزل بنا نازل أعظم بلية- منك، أتحلفني فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره وألجأه إلى أن استحلفه؟ أما والله ليعلمن الله، عز وجل، أني سأبليه، في هذا الأمر، الصبر وحسن العزاء.

ثم أمر قهرمانه بقبض المال منه، وبتجهيز الجارية بما يشبهها من الخدم والثياب والطيب، فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار، وقال: هذا لك ولك عوضها مما ألطفتنا، والله المستعان.

فقبض العراقي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة! إني، والله، ما ملكتك قط، ولا أنت لي، ولا مثلي يشتري دارية بعشرة آلاف دينار، وما كنت لأقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلبه أحب الناس إليه لنفسي، ولكني دسيس من يزيد بن معاوية، وأنت له وفي طلبك بعث بي فاستتري مني، وإن داخلني الشيطان في أمرك، أو تاقت نفسي إليك فامتنعي.

ثم مضى بها حتى ورد دمشق، فتلقاه الناس بجنازة يزيد، وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام الرجل أياما-، ثم تلطف للدخول عليه، فشرح له القصة، ويروى أنه لم يكن أحد من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلا- ونسكا-، فلما أخبره قال: هي لك وكل ما دفعه إليك من أمرها فهو لك، وارحل من يومك، فلا أسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام.

فرحل العراقي ثم قال للجارية: إني قلت لك ما قلت حين خرجت

بك من المدينة، فأخبرتك أنك ليزيد، وقد صرت لي، وأنا أشهد الله أنك لعبد الله بن جعفر، وإني قد رددتك عليه، فاستتري مني.

ثم خرج بها حتى قدم المدينة، فنزل قريبا- من عبد الله، فدخل عليه بعض خدمه فقال له: هذا العراقي ضيفك الذي صنع بنا ما صنع، وقد نزل العرصة، لا حياه الله، فقال عبد الله: مه! أنزلوا الرجل وأكرموه.

فلما استقر بعث إلى عبد الله: جعلت فداءك! إن رأيت أن تأذن لي أذنة- خفيفة- لأشافهك بشيء فعلت. فأذن له، فلما دخل سلم عليه، وقبل يده، فقربه عبد الله، ثم اقتص عليه القصة، حتى إذا فرغ قال: قد والله وهبتها لك قبل أن أراها، وأضع يدي عليها، فهي لك، ومردودة عليك. وقد علم الله تعالى أني ما رأيت لها وجها- إلا عندك. فبعث إليها، فجاءت وجاء بما جهزها به موفرا-، فلما نظرت إلى عبد الله خرت مغشيا- عليها، وأهوى إليها عبد الله فضمها إليه.

وخرج العراقي وتصايح أهل الدار: عمارة عمارة، فجعل عبد الله يقول، ودموعه تجري: أحلم هذا، أحق هذا؟ ما أصدق بهذا. فقال له العراقي: جعلت فداءك! قد ردها عليك إيثارك الوفاء وصبرك على الحق وانقيادك له. فقال عبد الله: الحمد لله، اللهم إنك تعلم أني تصبرت عنها، وآثرت الوفاء، وأسلمت لأمرك، فرددتها علي بمنك، فلك الحمد! ثم قال: يا أخا العراق ما في الأرض أعظم منةَ- منك، وسيجازيك الله تعالى.

وأقام العراقي أياما-، وباع عبد الله غنما- له بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقهرمانه: احملها إليه، وقل له: اعذر، واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلا- لأكثر منه، فرحل العراقي

محمودا- وافر العرض والمال [1].

وإني أستشيرك فأشر عليّ:

كتب يزيد بن معاوية إلى أبي هريرة يأمره أن يخطب عليه هند بنت سهيل بن عمرو أخي بني عامر بن لؤي. فجاءها أبو هريرة فخطبها على يزيد، فقالت له: فإن حسن بن عليّ خطبني، وإني أستشيرك فأشر عليّ. فقال: إني أشير عليك أن تضعي فاك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاه، فتزوجت الحسن عليه السلام [2].

أنخدع الناس أم يخدعونا؟ :

يروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاويةَ في اليوم الذي بُويِعَ له بالعهد، فجعل الناس يمدحونه، ويُقَرِّظونه: يا أمير المؤمنين، والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعونا؟. فقال له معاوية: كل من أردتَ خديعته فتخادع لك حتى تبلُغَ منه حاجتك فقد خدعته [3].

ولو كانت أكنت تفي بها؟

بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عضاه الأشعري إلى ابن الزبير فقال له: إن أول أمرك كان حسنا- فلا تفسده بآخره. فقال ابن الزبير: إنه ليست ليزيد في عنقي بيعة. قال له: ولو كانت أكنت تفي بها؟ قال: نعم. قال: يا معشر المسلمين قد سمعتم ما قال، وقد بايعتم ليزيد، وهو يأمركم بالرجوع عن بيعته [4].

وترك كثيرا- مما كان عليه:

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ص 153 - 154.
(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 74/2.
(3) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 18/3.
(4) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 94/4.

وفد هانئ بن قبيصة على يزيد بن معاوية فاحتجب عنه أياما- ثم إن يزيد ركب يوما- يتصيد، فتلقاه هانئ فقال: إن الخليفة ليس بالمحتجب المتخلي، المتنحي، ولا بالمتطرف المتنحي ولا الذي ينزل على العدوات والفلوات، ويخلو باللذات والشهوات، وقد وليت أمرنا، فأقم بين أظهرنا، وسهل إذننا واعمل بكتاب الله فينا، فإن كنت عجزت عما هاهنا، واخترت عليه غيره، فاردد علينا بيعتنا، نبايع من يعمل بذلك فينا ونقمه، ثم عليك بخلواتك، وصيدك وكلابك. قال: فغضب يزيد وقال: والله لولا أن أسن بالشام سنة العراق لأقمت أودك. ثم انصرف وما هاجه بشيء وإذن له ولم تتغير منزلته عنده، وترك كثيرا- مما كان عليه [1].

لست في العير ولا في النفير:

وجرى في الإسلام كلام بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وبين عمرو الأشدق فقال عمرو ليزيد أسكت فلست في العير ولا في النفير فقال يزيد لجلسائه إن هذا الأحمق سمع كلمة- فأحب أن يتمثل بها ولم يحسن أن يضعها موضعها، يقول لي لست في العير ولا في النفير وصاحب العير جدي أبو سفيان وصاحب النفير جدي عتبة بن ربيعة[2].

هلا قلت وافق المعنى تفسيرا-:

سأل يزيد بن معاوية الأحنف عن المروءة، فقال: التقى والاحتمال، ثم أطرق هنيئة فقال:

وإذا جميل الوجه لم :: يأت الجميل فما جماله
ما خير أخلاق الفتى :: إلا تقاه واحتماله

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 12/6.
(2) الزجاجي، الأمالي، 37/1.

فقال يزيد: أحسنت يا أبا بحر، وافق البم زيرا- فقال الأحنف: هلا قلت وافق المعنى تفسيرا- [1].

أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين!:

أهدى يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر هدية فيها در وجوهر وعطر وكسى فقال للرسول: اختر ما شئت منها، فاختار فصا- من ياقوت أحمر وجد في خزائن ذي القرنين مما كان لدارا بن دارا، فقال: خذه وكل ما في السفط، فقال: أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين! قال: ومن يبلغ ذاك إلا أنا وأنت؟ فأخذه[2].

كم كان أمير المؤمنين يعطيك؟

ورد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على يزيد بن معاوية، فقال له: كم كان أمير المؤمنين يعطيك؟ قال: كان رحمه الله يعطيني ألف ألف. فقال يزيد: قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف. قال: بأبي أنت وامي. قال: ولهذه ألف ألف. قال: أما أني لاأقولها لأحد بعدك. قال: ولهذه ألف ألف. قال: مايمنعني من الأطناب في وصفك إلا الإشفاق عليك من جودك. قال: ولهذه ألف ألف. وحمل المال معه، فقيل ليزيد: فرَّغت بيت مال المسلمين على رجلٍ واحدٍ. قال: إنما دفعته إلى أهل المدينة أجمعين. ثمّ وكل به من يعرفه خبره من حيث لايعلم، فلما دخل المدينة فرق المال فيها حتى أحتاج بعد شهرٍ الى القرض[3].

فما ترى فيه؟

دخل يزيد بن معاوية على أبيه فوجده مطرقا- فقال: يا أمير

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 385/1.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 397/1.
(3) المرزباني، نور القبس، 67/1.

المؤمنين ما هذا الأمر الذي أشجاك؟ قال: أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما اعمل فيه قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهبل كتب إلى أختك عاتكة بهذه الأبيات:

::
أعاتك هلا إذ بخلت فلم تري : لذي صبوة زلفى لديك ولا حقا
رددت فؤادا- قد تولى به :: وسكنت عينا- لا تمل ولا ترقا
الهوى : ولم أر يوما- منك جودا- ولا
ولكن خلعت القلب بالوعد :: صدقا-
والمنى : فأشكو الذي بي من هواك وما
فواكبدي إذ ليس لي منك :: ألقى
مجلس : وطول النهار جالس أرقب
وأكبر همي أن أرى منك :: الطرقا
مرسلا- : ويزداد قلبي كل يوم لكم
رأيتك تزدادين للصب غلظة :: عشقا-
:

فلم تزل باكية منذ اليوم قد أفسدها الخبيث فما ترى فيه؟ قال: والله يا أمير المؤمنين إن الشأن فيه لهين قال: وما هو؟ قال: عبد من عبيدك يكمن له في بعض أزقة مكة فيريحنا منه. فقال معاوية: أُفٍ لك، والله إن امرءا- يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي، فأنت قد ضاق ذرعك بكلمة، وقصر فيها باعك، حتى أردت أن تقتل فيها رجلا- من قريش. أو ما تعلم أنك إن فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبدا- . قال: يا أمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني فأوجعتني وحملتني على ما أشرت فيه قال: وما هي قال:

::
حمى الملك الجبار في لقاءها : فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخاف وباله :: ولا في حبيب لا يكون له
فواكبدي إني سهرت بحبها : وصل
ويا عجبا- إني أكاتم حبها :: ولم تك فيما بيننا ساعة بذل
: وقد شاع حتى قطعت دونها

:: السـبل ::

فقال معاوية: قد والله رفهت عني فما كنت آمن أن يكون وصل إليها، فإما وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب أيسر علي، قم عني واكتم ما كان. فقام يزيد وانصرف. وحج معاوية في تلك السنة، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وكتب فيهم اسم أبي دَهْبَل، ثم دعاهم ففرق في جميعهم الصلات السنية، وأجازهم الجوائز الكثيرة فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف، دعا معاوية إليه فقال له: يا أبا دهبل مالي أرى أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطا- في قوارص ثابتة عنك، وشعر لا تزال قد نطفقت به وأُنفذ إلى خصمائنا وموالينا؟ لا تعرض لأبي خالد، فجعل أبو دهبل يعتذر إليه ويحلف أنه مكذوب عليه. فقال له معاوية: لا بأس عليم وما يضرك هذا عندنا، هل تأهلت؟ قال: لا. قال: فأي بنات عمك أحب إليك قال: فلانة. قال: قد زوجكها أمير المؤمنين وأصدقها عنك ألفي دينار وأمر لك بألف دينار. فلما قبض قال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوجنيها أمير المؤمنين طالق البتة. فسرّ بذلك معاوية، وضمن له أن يرضي يزيد عنه، ووعده بإدرار ما وصله به كل سنة وانصرف إلى دمشق، ولم يحج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل [1].

من كلامه - غفر الله له -:

- قال يزيد بن معاوية على مِنبرِه: ثلاثٌ يُخْلِقْنَ العقْل وفيها دليل على الضّعف: سرعةُ الجواب وطُول التمنِّي والاستغراق في

(1) القاضي التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، 65/1.

الضَّحك[1].

خطب يزيد بن معاوية توفي سنة 64هـ:

خطبته بعد موت معاوية:

الحمد لله الذي ما شاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع إن أمير المؤمنين كان حبلا من حبال الله مده ما شاء أن يمده ثم قطعه حين أراد أن يقطعه وكان دون من قبله وخيرا ممن يأتي بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار إليه فإن يعف فبرحمته وإن يعاقبه فبذنبه وقد وليت بعده الأمر ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم وعلى رسلكم إذا كره الله شيئا غيره وإذا أحب شيئا يسره.

خطبة أخرى له:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه واختاره لرسالته بكتاب فصله وفضله وأعزه وأكرمه ونصره وحفظه ضرب فيه الأمثال وحلل فيه الحلال وحرم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعذارا وإنذارا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ويكون بلاغا لقوم عابدين أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه وإليه يصير معادها وانقطاع مدتها وتصرم دارها ثم إني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وأينعت بالفاني وتحببت بالعاجل لا يدوم

(1) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ - 1996م، 160/5.

نعيمها ولا تؤمن فجيعتها أكالة غوالة غرارة لا تبقي على حال ولا يبقى لها حال لن تعدو الدنيا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله عز و جل: {ي□□ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□□} [الكهف: ٤٥]، نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله يقول الله: {ۆۈۋۇۆۋۇۈو} [الأعراف: ٢٠٤]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: {ههےے ۓ ۓ ڭ
ڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ي ي ئا ئا ئه
ئه} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] (1).

وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه :

لما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه على خراسان قال له إن أباك كفى أخاه يعني معاوية عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك وإياك مني قبل أن أقول إياي منك فإن الظن إذا أخلف منك أخلف مني فيك وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك وكن لنفسك تكن لك واذكر في يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى (2).

- وقال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد: إن أباك كفَى أخاه عظيماـ، وقد استكفيتُك صغيراـ، فلا تتَّكِلن مني على عُذْر، فقد اتكلت منك على كِفاية، ولأَنْ أقولَ لك: إياك، أحبُّ إليّ من أن أقول: إياي؛ فإن الظنّ إذا

(1) جمهرة خطب العرب ، 2 /189.
(2) جمهرة خطب العرب ، 2 /189.

أخلف فيك أخلف منك، فلا تُرِحْ نفسَك وأَنت في أدنى حظّك، حتى تَبْلُغ أقصاه؛ واذكرْ في يومك أخبارَ غَدِك، واستَزِدْنِي بإحسانك إلى أهل الطاعة، وإساءتك إلى أهل المعصية، أَزِدْك إن شاء الله تعالى [1].

- قال يزيد بن معاوية: ثلاث يخلقن العقل، وفيهن دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول التمني، والاستغراب في الضحك[2].

- كتب يزيد بن معاوية لسالم بن زياد قليل العتاب يؤكد أواخي الأسباب وكثيره يقطع وصائل الأنساب

لا تكثرن في كل حادثة : عتب الصديق فإنه يهفو
هب مشربا- يصفو فتحمده :: أترى المشارب كلها تصفو[3]

* * *

(1) القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، 376/2.
(2) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 69/1.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 241/1.